

دراسات محكمة

الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات
- أزمة وباء كوفيد 19 نموذجاً -

الزهدي عبد الفتاح

أستاذ علم الاجتماع، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان-المغرب

أمين جبار

باحث في علم الاجتماع، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان-المغرب

26 فبراير 2022



ملخص:

لا يمكن فهم خطاب السخرية إلا من مدخل مقارنته كتعبير عن علاقة أزمة بين طرفين، الأمر الذي يفسر كون السخرية قد تكون موجهة صوب الشرط الإنساني عموما لتكتسي بذلك طابعا أنطولوجيا في لحظات انعدام اليقين والمعنى، بنفس القدر الذي يمكن أن تكون فيه معبرة عن علاقة بين ذوات إنسانية واعية عاكسة بذلك صراعا لاستراتيجيات فردية أو جماعية.

وفي هذا السياق، ستحاول المقالة تسليط الضوء على البعد النقدي الذي يكتسيه الخطاب السياسي الساخر مع التركيز في الوقت نفسه على ميله العملي خصوصا في أوقات الأزمات كما تجلى ذلك في أزمة "كوفيد 19". مفاهيم مفتاحية: السخرية، الخطاب السياسي، النقد، الأزمة.

Abstract:

The discourse of Irony can only be understood by being approached as an expression of a crisis between two parties. This explains the fact that Irony may be directed towards the human condition in general, thus acquiring an ontological form in moments of uncertainty and meaninglessness. Likewise, it can express a kind of relationship between conscious human beings, reflecting individual or collective strategies conflict.

In this context, the article will attempt to shed light on the critical dimension of the ironic political discourse while, focusing on its practical tendency, especially in times of crisis, as was evident in "Covid19" crisis.

Key concepts: Irony, political discourse, critique, crisis.



الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات -أزمة وباء كوفيد 19 نموذجا-

مقدمة

تبدو السخرية من السلوكيات الأكثر تمييزا للإنسان، مثلما أنها قديمة قدم قدرته على التعبير والكلام¹. وهي تطلع بمهمة تنظيم علاقته بالوجود على نحو خاص تنعكس فيه ذاتية الإنسان عموما والفرد على وجه التحديد. فالسخرية تعكس وعيا إنسانيا خاصا وتمييزا للوجود، مضمونه القدرة على التطلع لتأسيس علاقة أخرى غير تلك القائمة معه في اللحظة. وهو أمر يقوم على مبدأ الرفض والسعي إلى استبدال موقع المنفعل بالفاعل من داخل هذه العلاقة. بهذا المعنى، فإنها تبدو ضرورية للشرط الإنساني عموما² وملازمة له؛ إذ بقدر ما يدرك الإنسان خضوعه لمجموعة من الإكراهات والإشراطات التي قد تكون طبيعية أو حتى مصطنعة وثقافية فإنه، في الوقت ذاته، يدرك إمكانية التحرر منها أو على الأقل، يدرك كونه جديرا بذلك.

بنفس القدر الذي يرتبط فيه الحديث عن السياسة بالحديث عن اللغة من خلال استحضار العلاقة التاريخية والضرورية بينهما كما تطرقت إليها أعمال فلاسفة من قبيل هابرماس، فوكو، بورديو... بل بدءا من "أرسطو" الذي استحضر قدرة الإنسان على الكلام وامتلاكه للغة في تناوله لطبيعته المدنية/السياسية³، فإن اللغة الإنسانية تشكل، من جهة ثانية، حاملا أساسيا للسخرية بقدر ما تتيحها من مرونة وسعة دلالية، مثلما تكون الصياغات اللغوية الساخرة تعبيرا عن تطور مهم في القدرة اللغوية يعكس اكتسابها لوظائف جديدة تنضاف إلى وظيفتها التواصلية. لكن؛ هذا التناول لعلاقة السخرية بتطور اللغة، وما يوحي به من تطور خطي تصاعدي للسخرية في ارتباطها بشرط التطور اللغوي، لا ينبغي -هذا التناول- أن يحجب واقعة تنامي خطاب السخرية في فترات معينة بالذات ليتراجع في فترات أخرى، مما يدل على وجود متغيرات أخرى متدخلة في تحديد شكلها وطبيعتها ومنسوبيها، بل أنه لا ينبغي أن يحجب كذلك تناميا كظاهرة وتحولها النوعي في ظل المرحلة الحديثة⁴.

ويشكل واقع الأزمة بما يبعثه من إحساس بعدم اليقين وغياب الأمن أحد المتغيرات التي تشرط الخطاب الساخر، سواء تعلق الأمر بأزمة تبدو مرتبطة بواقع وجودي يكتسي في ظلها الخطاب السياسي طابعا نفسيا هو أقرب إلى العزاء والمواساة منه إلى التطلع نحو تغيير الوضع، أو كانت هذه الأزمة ناتجة عن تقدير وتدير بشريين للشأن الإنساني حيث في الغالب ما يميل الخطاب الساخر لاكتساب طابع سياسي يعكس وعيا بإمكانية تغيير الواقع وبمسؤولية الإنسان في هذا التغيير.

إن النوع الأخير من الخطاب الساخر يُبرز تقاربا تاريخيا بين السخرية والخطاب السياسي، يؤكد الارتباط القديم بين السخرية والسياسية⁵، حيث أصبحت السخرية تعبر عن نوع من الخطاب الرافد للنقاشات السياسية، وتم اعتبارها وسيلة أساسية في حوض السجال والفوز برهان إخضاع الخصم/الخصوم. يتأكد هذا الأمر من خلال

¹ - Ernest Behler, *Irony and the Discourse of Modernity*, the University of Washington Press, USA, 1990, P: 73.

² - Jonathan Lear, *A Case for Irony*, harvard university press Cambridge, Massachusetts, and London, England 2011, P: IX.

³ - Paul Chilton & Christina Schäffner, John Benjamins, *Politics as text and talk, Analytic approaches to political discourse*, Publishing Company Amsterdam/Philadelphia, 2002, P: 1.

⁴ - Ernest Behler, *Irony and the Discourse of Modernity*, the University of Washington Press, USA, 1990, P: 73.

⁵ - Claire Colebrook, *Irony*, Routledge the Taylor Francis Group, New York, 2005, P: 1.



الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجاً -

الوقوف على حضورها في أدبيات الفلسفة السياسية منذ المراحل اليونانية المبكرة وصولاً إلى المرحلة الراهنة التي ستعرف فيها السخرية تنامياً ملحوظاً وملفتاً.

فما هي أوجه العلاقة بين الخطاب -الخطاب السياسي تحديداً- بطابعه النقدي وبين السخرية؟ وما الذي يُفسر تنامي الخطاب السياسي الساخر في أزمة الأزمات؟ وكيف تمظهر هذا النوع من الخطاب في ظل أزمة انتشار وباء "كوفيد 19"؟

أولاً: الخطاب السياسي الساخر والتزوع نحو الفعل

إن مقارنة كل من الخطاب السياسي والسخرية في علاقتهما بالواقع ومدى التأثير الذي يحدثانه على الأخير يقتضي إلتماس المقاربة البرغماتية التي تركز على البعد العملي لهما. ذلك أن البرغماتية تهتم بما يعنيه الأفراد حين يتكلمون وينتجون الخطاب أبعد من الوقوف عند الدلالة الحرفية للكلمات والسياقات اللغوية، فهي تتيح الوقوف على سياقات إنتاج الخطاب والهدف من وراءه بتركيزها على الفرد بدل الكلمة⁶. ذلك يجعل من دلالات ومعاني الوقائع، التي تصاغ ضمن الخطاب السياسي، خارج دائرة البحث عن "النومين" الدلالي بلغة "إمانويل كانط". فلسنا بصدد مظهر وجوهري، بل لا يهم حتى طرح السؤال حول ما إذا كان الخطاب مُمتلكاً لبعدين أحدهما ظاهر والآخر مُضمّر. فاستدعاء هذين البعدين يكون من مدخل الأثر/ التأثير الذي ينتجه الخطاب بالوقوف على كيفية تفاعلهما لإنتاج التأثير المتوقع.

فالمقاربة البرغماتية تسمح بالوقوف على الدلالات التي يحتملها الأفراد الفاعلين لخطاباتهم في العلاقة بالسياق العام في أبعاده الاجتماعية، الوضعية Situational والنصية Textual، بالإضافة إلى السياق المرتبط بالخلفية المعرفية التي تشير إلى ما يعرفه أطراف الخطاب (المرسل والمستقبل) عن بعضهما وعن الواقع⁷.

ذلك ما يبرر بحثنا فيما سيأتي عن الخيط الرفيع الذي تعبر عنه *نزعة الفعل* الممتدة عرضانياً في مفاهيم الخطاب السياسي، السخرية، الأزمة والنقد. هذه النزعة تضي على ترابط المفاهيم السالفة الذكر طابع البناء المتكامل الذي يحتل فيه البعد العملي موقع القطب من الرحي.

1) الخطاب والخطاب السياسي: يعبر الخطاب عن طريقة مخصوصة للكلام عن العالم أو جانب من جوانبه وفهمه، كما أن طرائقنا في الكلام لا تعكس عالمنا وهويتنا وعلاقاتنا الاجتماعية على نحو محايد كما تؤكد ذلك مجموعة من النظريات المهتمة بدراسة وتحليل الخطاب، لكنها فضلاً عن ذلك تهض بدور فعال في إيجادها وتغييرها⁸. وسيمكّن تجاوز الفصل الإبستمولوجي بين الدراسات اللغوية والعلوم الاجتماعية الذي ساد لفترة طويلة من إدراك الترابط العميق بين استعمالات اللغة وعمليات التواصل وبين الوقائع الاجتماعية، وهو ما أتاح إمكانية فهم وتتبع التغيرات الاجتماعية من مدخل التعبيرات اللغوية والخطابية. فالاجتماعي لا يوجد خارج الخطاب كما لا يوجد داخله باعتباره مضموناً فقط، بل إنه يحدد شكل الأخير وبنيته، وكذا التحولات التي تطاله

⁶ - Brian Paltridge, *discours analysis an introduction*, continuum, London, 2006, P: 3.

⁷ - Ibid, P: 53.

⁸ - ماريان بورغنسن ولوينز فيليبس، تحليل الخطاب؛ النظرية والمنهج، ترجمة د. شوقي بوعناني، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2019، ص 14.



الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجاً -

ليتجاوز كونه مجرد أداة للتواصل وليكون مؤثراً في سلوك الغير واختياراته⁹. فمن مدخل التأثير في الواقع الفعلي يُحدد "ميشيل فوكو" كل التصريحات والنصوص التي تندرج ضمن مفهوم الخطاب¹⁰، بحيث يتم تنظيمها بكيفية تجعلها حاملة لسلطة معينة.

وارتباطاً بنفس سياق الفعل والتأثير، يُحدد عالم الاجتماع "أنطوني غيدنز" الخطاب في دلالاته الإجرائية باعتباره يُشير إلى الطريقة التي يتحدث ويفكر بها الناس في موضوع يوحدهم من خلال وجود افتراضات مشتركة يتأسس عليها، وهو يسمح بتشكيل فهم الناس لهذا الموضوع وأفعالهم¹¹. ذلك أن الخطاب -مكتوباً كان أو شفهيًا- لم يعد يُنظر إليه في أعقاب سنوات 1950 بأنه كلام مُحايد بقدر ما أنه نوع من الفعل الموجه صوب التأثير في الواقع بكيفية معينة¹²، وهو الأمر الذي أسس له فيلسوف اللغة الإنجليزي "جون لانشو أوستن" J. L. Austin في كتابه "كيفية فعل الأشياء بالكلمات" الصادر سنة 1962، حيث سيسعى إلى إبراز نزعة الفعل من خلال استعماله لمفهوم "فعل الكلام" Speech Act. نفس الأمر سيتناوله الأنثروبولوجي "برنسلاف مالينوفسكي" بوضعه لمفهوم "فعل اللفظ" Verbal Act مشيراً من خلاله إلى أن دور اللغة الأساسي لا يتحدد في نقل الأفكار بقدر ما هو دور عملي يرتبط بسلوكيات الناس¹³.

وتضيف الأصول الإيثيمولوجية لكلمة الخطاب Discourse، إلى المعنى السابق، بما تحمله من دلالة حرفية على "الجري هنا وهناك"¹⁴، إشارة إلى أنه يكون مرتبطاً بموضوعة عامة بطبيعتها يمكن أن تتفرع إلى موضوعات جزئية أخرى، فيختلف الخطاب عن مجرد الكلام بكونه ينزع إلى أن يكون عاماً غير مُعبر عن ما هو شخصي. فهو يكون بصدد موضوعات تتعلق بقضايا مشتركة بين جماعة من الناس قد تضيق أو تتسع. والخطاب عموماً غير معني بنقل الخبر أو المعرفة، إلا إذا كان هذا النقل يصرح، ولو بشكل مضمّر، بإمكانية الفعل والتأثير في هذه القضايا من منظور معين.

كما يمكن الوقوف على خاصية ثالثة للخطاب تتمثل في كونه استطرادياً Discursive. فالاستطرادية تُشير إلى كون الخطاب ليس مجرد تعبير عن فكرة واحدة أو حتى مجموعة أفكار معزولة بقدر ما يعبر عن ترابط متسلسل لمجموعة من الأفكار تنطلق من افتراضات تسمح بتوصيف ما لوضعيات لتنتج بذلك على استنتاجات، بحيث يبدو بذلك الخطاب كتعبير عن نظام مترابط من الأفكار، حتى لو كان يختزل هذا النظام إلى تصريحات جزئية معزولة. ذلك أن الحديث عن الخطاب هو حديث عن عملية Process وليس عن فعل لحظي معزول ومُستقل كما يكون الأمر مع الإخبار بشيء معين. إن الطابع السيروراتي للخطاب يؤكد خاصية العمومية/ وقابلية التفرع فيما يخص موضوعه التي تمت الإشارة إليها سابقاً.

⁹ - د. عبد السلام حيمر، في سوسيولوجيا الخطاب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الدار البيضاء، 2008، ص 14.

¹⁰ - Sara Mills, Discourse, Taylor & Francis e-Library, 2001, P: 7.

¹¹ - ANTHONY GIDDENS & PHILIP W. SUTTON, Essential Concepts in Sociology, Polity, 2014, P: 14.

¹² - Ibid, P: 14.

¹³ - ألسندور دورانت، الأنثروبولوجيا الألسنية، ترجمة فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013، ص 356 و 357.

¹⁴ - الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000، ص 90.



الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجاً -

وحيث ننتقل إلى الخطاب السياسي فإن الحدود بين الفعل والكلام تضيق أكثر لدرجة تصبح فيها الكلمات والأفعال شيئاً واحداً¹⁵، بشكل يفوق ما تبدو عليه علاقتهما في أشكال الخطاب الأخرى. فالفعل أو النشاط السياسي لا يمكن أن يوجد بمعزل عن اللغة التي يتشكل منها الخطاب¹⁶. فتبدو السياسة كمتتالية من الإنجازات الخطابية تستثمر تعبيرات رمزية مكثفة تختزن إشارات تكون من وراء القوة التعبوية التي تميز الخطاب السياسي¹⁷. وحيث أن الخطاب السياسي يُعنى بقضايا عامة تمس واقع وحياة الناس ويؤثر بشكل ما عليهما، فإنه من السهل أن تُعلق عليه مجموعة من العواطف تتركب من المخاوف والأمال¹⁸، مما يجعل من وضعية التخاطب تميل إلى أن تكتسي طابعاً لاعتقائياً باعتمادها على آليات خطابية -ك"البثوس" Pathos- تُلبّي حاجات نفسية ذاتية وجماعية دون أن تتنازل عن هدفها في التأثير في الواقع.

وما يبرز تنامي النزعة العملية أكثر في مفهوم الخطاب عندما يرتبط بمفهوم السياسة هو حلوله محل مفهوم "الإيديولوجيا" بشكل ملحوظ سنوات التسعينيات من القرن المنصرم، حيث أصبحت تبدو الأخيرة من حيث حماسها في تقديم توصيف ومخطط دقيقين للوجود والإنساني حاضراً ومستقبلاً عاجزة أمام تعقد بنية الواقع المعاصر، ليطلع الخطاب بدور التعبير عن نزعة الفعل المرنة في هذا الواقع والمتخلصة من الرؤية الخطية والحتمية لمسار هذا الفعل كما كان عليه الحال في المقاربات الإيديولوجية¹⁹.

إن الخطاب السياسي في الغالب ما يتم فهمه باعتباره الخطاب الصادر عن القنوات السياسية الرسمية (الإعلام الرسمي للدولة- الأحزاب-...) وهو فهم ينطلق من فهم مؤسساتي اختزالي لعقلنة الصراع الاجتماعي والسياسي. فالخطاب السياسي منظوراً إليه من زاوية التأثير في الاختيارات ذات الصلة بتدبير الشأن العام، كما نتبناه في هذه المقالة، يفسح المجال لأشكال من الخطاب غير الرسمي من أن تكتسب طابعاً سياسياً، حيث في الغالب ما يكون عامة الناس ممن لا يمتلكون سلطةً محرومين من الكلام في قضايا الشأن العام ولو بطرق ضمنية تلبس أحيانا كثيرة لبوس الإشراف والتشاور، فهم في العادة يُنظر إليهم كمتلقين للخطاب فقط²⁰. هذا التأثير الذي تمارسه أشكال الخطاب اليومي لعامة الناس، لا كأفراد بل كفاعلين اجتماعيين، على الحقل السياسي يقضي بوجود سلطة منتشرة في تفاصيل العلاقات الاجتماعية والحياة اليومية البسيطة بلغة "ميشيل فوكو"، والتي لا تبرز واضحة بحكم طابعها المشتم والمجهري من جهة، ومن جهة ثانية، لعدم توفر قنوات للتعبير عنها، ذلك أن الإعلام والمؤسسات الرسمية تعمل على كبحها. ذلك ما يُبرز إلى الواجهة كون هذه الخطابات تبدو مُفككة ومفتقدة

¹⁵ - كريستيان تيليغا، علم النفس السياسي-رؤية نقدية، ترجمة: أسامة الغزولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 436، ماي 2016، ص166.

¹⁶ - Anita Fetzer, *The Pragmatics of Political Discourse- Explorations across cultures*, John Benjamins Publishing Company Amsterdam/Philadelphia, 2013, P: 2.

¹⁷ - كريستيان تيليغا، علم النفس السياسي-رؤية نقدية، ترجمة: أسامة الغزولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 436، ماي 2016، ص166.

¹⁸ - المرجع السابق، ص163.

¹⁹ - Sara Mills, *Discourse*, Taylor & Francis e-Library, 2001, P : 29.

²⁰ - توين فان دايك، الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص85.

الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجا -



للتنظيم ظاهريا، كما أن تأثيرها يعتمد منابر خاصة وآليات خطابية غير رسمية هي في الغالب "غير عقلانية/غير مؤسساتية".

إذا كان اكتساب الخطاب لطابعه السياسي يزيد من نزعته العملية الموجهة للتأثير في الواقع، فإن التعبير عنه بطريقة ساخرة يزيد من منسوب هذه النزعة بشكل ملحوظ، كما سنرى لاحقا.

(2) السخرية: يثير مفهوم السخرية قدرا كبيرا من الإلتباس، من جهة، بسبب اتساع حقل الظواهر التي يغطيها، مما يضعه في موقع تجاور وقرب دلالي -بل وتداخل في أحيان كثيرة- من مجموعة من المفاهيم الأخرى كالتهمك، المزاح، الفكاهة... بحيث تستعمل في سياقات كثيرة كترادفات. وهو الأمر الذي ينتج عن الوقوف في تحديد السخرية عند التعريف العام والواسع الذي يقدمها باعتبارها نوع من الخطاب يقوم من خلاله المخاطب بإعلان شيء ما في الوقت الذي يقصد من خلال ذلك معنىً مناقضا له²¹، مما يضع تحت طائلة السخرية عددا من الخطابات لا تتشابه إلا من حيث الشكل. ومن جهة ثانية، يصدر هذا الالتهاس الذي يطال المفهوم عن حصر تناوله لفترة طويلة ضمن المقاربة البلاغية. وهي مقاربة وجدناها غير كافية لفهم مجموعة من الوظائف العملية والسياسية التي تطلع بها السخرية في وضعيات معينة، مثلما أنها لا تتيح الإمساك بآليات عملها النفسية في ارتباطها بالبعد المعرفي والمقاصد الواعية للإنسان التي تعكس في الغالب صراعا وتدافعا من أجل فرض اختيار دون آخر.

لأجل هذا الغرض ستحاول المقالة أن تُقارب المفهوم بالتركيز على بُعدته العملي الذي تتيحه المقاربة البراغماتية؛ وذلك باعتبار السخرية إحدى الأدوات المفهومية التي يبني من خلالها الإنسان تصورات له لتجاربه الخاصة في العالم المحيط به، وفي نفس الوقت، علاقته بهذا العالم في بعدها الواقعي القائم والافتراضي المطلوب والمرغوب، بمعنى؛ أنها آلية لملا الفجوة بين ما يتم إدراكه، ملاحظته ومعايشته وبين التطلعات والرغبات، مما يولد ميلا نحو الفعل يتم التعبير عنه بصيغ مختلفة تشكل السخرية إحداها.

لقد ساد التناول البلاغي لموضوعة السخرية فترة طويلة بسبب الاهتمام باللغة أكثر من الخطاب. لكن هذا الوضع سيعرف تحولا مع القرن الثامن عشر في كنف الأدب الرومانسي الذي كان في طور التأسيس، والذي سيضفي على السخرية طابعا نقديا بانتزاعها من مملكة اللغة وربطها بالخطاب الذي ينحو إلى أن يكون اجتماعيا؛ إذ سيقوم الشاعر الألماني "فريدريك شليغل"، الذي يعتبر أحد أبرز مؤسسي الاتجاه الرومانسي في الأدب، بتوطين السخرية على أرض الفلسفة²²، ليعود بها إلى اللحظة السقراطية كممارسة خطابية نقدية مخلصا إياها من الإنتاجات التي تناولتها بالدراسة مركزة على اعتبارها مجرد خاصية بلاغية مميزة للخطاب. وهي بهذا الشكل، تعتبر ممارسة خطابية مبكرة تحمل بُعدا معرفيا وآخر عمليا بحكم كونها ذات منزع نقدي مرتبط بموضوعات لها أبعاد عملية من قبيل العدالة والحق، بل حتى تلك ذات الطابع الأخلاقي من قبيل السعادة. فهي تؤسس للممارسة والفعل

²¹ - JOANA GARMENDIA, Irony, Cambridge University Press, UK, 2018, P: 17.

²² - Ernest Behler, Irony and the Discourse of Modernity, the University of Washington Press, USA, 1990, P: 74.

الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجا -



والسياسة تحديدا، رغم أن الخطاب السقراطي الساخر يتم تقديمه في الغالب في ارتباط بغايات معرفية خالصة منزهة عن الواقع العملي المادي!!

إن السخرية السقراطية لا تكتسي طابعا تهكميا يهدف إلى الانتقاص من قيمة المحاور²³، ولا هي معنية فقط بإبراز تهافت الادعاء المعرفي للمحاور ووقوفها عند هذا الحد كما قد تبدو عليه، بل كانت تكتسي طابعا سياسيا ظل مُضمرا في الخطاب الأخلاقي بفعل تضخم هذا الأخير. ذلك أن السخرية السقراطية كانت تحمل على محمل الجد القضايا السياسية العملية معبرة عنها في صيغة أخلاقية ومعرفية في نفس الوقت. فما منعها أن تُبرز طبيعتها العملية هو كونها كانت تهدف إلى دفع المحاور ذاته إلى بناء المعرفة والافتناع بها مع التخلي عن آراءه واعتقاداته الخاصة، بمعنى آخر؛ فقد كان شرط ممارسة السياسة يتحدد في الوصول إلى المعرفة الحقيقية واليقينية أولا وتملكها، وهي ممارسة -أي الممارسة السياسية- يتم الحكم عليها في النهاية بكونها "خير" Le Bien، حيث أن المعرفة المؤسسة للفعل تتحدد حسب سقراط بكونها "خير" وهو نفس التوصيف الذي يدل على نوع من الممارسة والسلوك، بينما الفعل والممارسة التي تندرج ضمن حكم "الشر" فهي تكون قائمة على غياب المعرفة؛ أي على الجهل. مما حجب البعد العملي للخطاب الساخر وراء الواجهة المعرفية الأخلاقية. بل أن السياسة عموما كانت مقاربتها تتم من مدخل أخلاقي.

فكان ينبغي انتظار فجر المرحلة الحديثة لكي تؤسس الإنعطافة الميكيفيلية لفهم جديد للسياسة يُرسمها على قاعدة صراع المصالح بعيدا عن الاعتبارات الأخلاقية والقيمية، ويبرز بذلك الطابع البرغماتي العملي للخطاب السياسي الساخر، أي باعتباره خطاب يعكس مصلحة جماعة معينة، ويفرض واقعا حاضنا لها. بمعنى؛ أن الخطاب السياسي عموما سيصبح تعبيرا عن صراع للمصالح، ويعكس سلطة وسلطة مضادة.

هذه المقاربة تفرض بداية التمييز في الخطاب السياسي الساخر بين "الاستعمال" Use و"التصريح" Mention كما يؤكد على هذه الازدواجية للخطاب الساخر كل من سبيرغر Sperger و"ولسون" Wilson²⁴. فالتصريح يشير إلى المعنى المباشر والظاهر للخطاب بينما الاستعمال يدل على الدلالات المضمرة التي يسعى من خلالها الخطاب إلى إحداث أثر معين وتحقيق هدف ما. غير أن تناول مفهومي التصريح والاستعمال بهذا المعنى من منظور "الذات الساخرة" يقدم الخطاب الساخر في صورة خطاب يحمل تناقضا، في الوقت الذي لا يكون فيه الأخير غير تجلّ ظاهري بينما تكون بين الداليتين الظاهرة والمضمرة علاقة وظيفية تكاملية تعتبر ضرورية في بناء الخطاب الساخر. وتجنبا لهذا الالتباس سيعمل لاحقا كل من "سبيرغر" و"ولسون" على استبدال مفهوم "التصريح" بأخر أكثر شمولية هو "التأويل" Interpretation لإبراز "عقلانية" الخطاب الساخر، وليُبرزا كذلك أن العلاقة بين أطراف

²³ - Jean Brun, Socrate, collection « que sais-je ? », presses universitaires de la France, France, 1963, P: 98.

²⁴ - Herbert L. Colston and Raymond W. Gibbs, Jr, A Brief History of Irony, IRONY IN LANGUAGE AND THOUGHT, Lawrence Erlbaum Associates Taylor & Francis Group, New York, 2007, P: 5.



الخطاب هي علاقة تأويلية ينبغي فيها للمتلقي أن يدرك أن ما يصرح به المخاطب الساخر يكون حاضرا في ذهنه ومفهوما وأنه في نفس الوقت يحمل موقفا إزاءه²⁵.

إن السخرية بهذا المعنى تعتمد آلية التصريح والإضمار، وهي آلية تفيده بوجود نوع من الصراع بين أطراف الخطاب إذا ما تمت مقارنتها من منظور علائقي/تأويلي. يبدو ذلك واضحا من خلال الوقوف على رهانات توظيف الخطاب الساخر بدل نوع آخر من الخطاب.

فالسخرية تعكس وجهها من أوجه الصراع على تسييد دلالة على أخرى، هي نوع من الصراع الدلالي الهيرمينيوطيقي على مضمون الخطاب، واعتراف بالغي الدلالي للخطاب وارتباطه بتعدد المواقع الاجتماعية التي يصدر عنها كل خطاب ويعبر عنها. فهي تعبير عن الانفتاح والمجاورة الدلالية. كما أنها تختزن قدرة تأويلية هائلة، حيث أن الأنثروبولوجيين التمسوا في أعمالهم هذه الطاقة التأويلية التي تختزنها لتجسير العلاقة المعرفية بينهم وبين المخبر Informant الحامل والمقدم للمعلومة²⁶. ويقابلها في الطرف الآخر خطاب يعبر عن "نزعة دلالية كلبية" Cynic كما تسميها الباحثة الأنثروبولوجية Yael Navaro-Yashin ذات الأصول التركية، وهي النزعة الدوغمائية المغلقة بشكل مقصود والتي بخلاف السخرية تعمل على إفراغ الخطاب من مضمونه وإمكانياته الدلالية المتعددة والاكتفاء بتأسيس علاقة ضرورية خطية بين الخطاب ومضمونه، وذلك بالفرض الجذري للتأويل وأشكال عدم اليقين التي تفرزه. وهي نزعة تكون في الغالب معبرة عن ميولات مركزية غير معترفة بالهامش مثلما هو الأمر في الأنظمة السلطوية²⁷.

فالتناقض الذي يبدو عليه الخطاب السياسي الساخر القائم بين ما يتم التصريح به وما يدل عليه الخطاب ويضمه هو تعبير عن الجمع بين رؤيتين للعالم/للواقع، بل يمكن القول بأن الخطاب الساخر يختزن خطابين متناقضين ومتصارعين، أحدهما يخص المخاطب والآخر يخص المخاطب²⁸. لذلك يبدو أن الخطاب الساخر يقوم على نسف سيروية إنتاج الخطاب العام الرسمي وفتح الباب أمام إمكانات جديدة من فهم الواقع غير تلك التي تقدمه في صيغة الضرورة الوحيدة أو في أحسن الأحوال باعتباره الوضع الأفضل.

لكن من أين تأتي هذه القدرة المألفة التي يكتسبها الخطاب الساخر في كسر هذه السيروية والتأثير على مجرى الأحداث مقارنة بباقي أشكال الخطاب الأخرى؟

²⁵ -Sachi Kumon-Nakamura, Sam Glucksberg and Mary Brown, How About Another Piece of Pie: The Allusional Pretense Theory of Discourse Irony, Ed, Herbert L. Colston and Raymond W. Gibbs, Jr, A Brief History of Irony, IRONY IN LANGUAGE AND THOUGHT, Lawrence Erlbaum Associates Taylor & Francis Group, New York, 2007, P: 88.

²⁶ - Hans Steinmüller and Susanne Brandtstädter, Irony, Cynicism and the Chinese State, Routledge, New York, 2016, P: 6.

²⁷ -Ibid, P: 3-7.

²⁸-Alessandra Del Ré, Fabrice Hirsch et Christelle Dodane, L'ironie dans le discours,

<http://journals.openedition.org/praxematique/4796>.



الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجا -

لقد لاحظ الفيلسوف الروماني "شيشرون" أن الخطاب الساخر عموما له تأثير ملفت على المتلقي ويشكل مصدرا مهما جدا للإمتاع خصوصا عندما يكتسي طابعا حواريا²⁹. فالخطاب الساخر يكون بحكم التعارض والازدواجية التي يحملها، قادرا على بعث الإحساس بالمتعة الذي يصبح قاعدة للتقارب بين الأفراد أكثر من اللغة المباشرة الحرفية التي تصطبغ في الغالب بطابع إخباري، تقرير، أو حتى تواصل بالمعنى البسيط المتداول للكلمة. فالسخرية قد تكون كذلك أكثر إمتاعا من اللغة الحرفية بسبب عامل المفاجأة الذي ينتج عن التعارض المشار إليه بين ما يتم التصريح به وبين المقصود³⁰.

وحيث أن السخرية تعتمد عنصر الفكاهة وتوظفه في صياغة خطابها فإن ذلك يكون من وراء السماح بتعبئة أكبر للمتلقين للخطاب. فالفكاهة Humour تعتبر عاملا يضيف مرونة أكبر على العلاقة الاجتماعية، بحيث أن توظيفها يقوم بتسهيل التعاون بين الناس؛ ذلك أن الإشارات الضاحكة والفكاهية تدل على استعداد الشخص للتعاون وقدرته على ذلك في نفس الوقت³¹. يحمل هذا القول إشارة من جهة ثانية إلى أن السخرية تستجيب إلى حاجة نفسية للانتماء الذي يعتبر شرطا أساسيا للتعبئة والتأثير. هذا الانتماء يتحقق بطريقة مرنة تتضاعف بالانتقال من الواقع المادي إلى الافتراضي الذي يكون متخلصا من ثقل مجموعة من الشروط والاعتبارات الواقعية التي تحدد الانتماء في الواقع المادي.

كما أن الخطاب الساخر يتيح بقدر ما إمكانية التحلل من مسؤولية القول، إذ يرى البعض أن النقد الساخر أقل تهديدا من النقد المباشر، وذلك لأن إغائه يجعل من الممكن تجنب التهديد المباشر³²، خصوصا في وضعيات الأزمة التي يتم في ظلها إعلان حالة الطوارئ وإعمال القوانين الخاصة بها والتي تكون في الغالب ذات حساسية مرتفعة إزاء الخطابات.

ثانيا: الخطاب السياسي الساخر في ظل الأزمات:

إن النزعة إلى الفعل المضمرة التي حاولنا إبرازها في العنصر الأول، سواء فيما يتعلق بمفهوم الخطاب السياسي أو السخرية ستبدو كأكثر وضوحا من خلال مفهومي "الأزمة" و"النقد".

(1) في التقاطع المفهومي بين الأزمة والنقد: يتركب مفهوم "الأزمة" من مجموعة من العناصر الذاتية والموضوعية المتعاقبة بشكل تفاعلي من قبيل: فكرة الاضطراب، اختلال النظام، الانحباس، فك الانحباس، التغذية الراجعة الإيجابية، نمو الجدل Le Polémique... إلخ، الأمر الذي يجعل منه مفهوما مطاطا وملتبسا كما يشير

²⁹ - Ernest Behler, Irony and the Discourse of Modernity, **the University of Washington Press**, USA, 1990, P: 77.

³⁰ - Shelly Dews, Joan Kaplan, & Ellen Winner, Why Not Say It Directly? The Social Functions of Irony, ED Raymond W. Gibbs, Jr. and Herbert L. Colston, **IRONY IN LANGUAGE AND THOUGHT**, Lawrence Erlbaum Associates Taylor & Francis Group, New York, 2007, P: 299.

³¹ - Paul McDonald, **The Philosophy of Humour**, Humanities-Ebooks, 2012, P: 14.

³² - Anita Fetzer, The Pragmatics of Political Discourse: **Explorations across cultures**, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam, 2013, 195 and 196.



إلى ذلك الفيلسوف الفرنسي "إدغار موران"³³. إنه بهذا المعنى لا يحيل على لحظة توقف كما قد يوحي به غياب الحلول في الوضعيات الأزموية بل إنه يشير إلى سيرة لا يشكل التوقف فيها غير لحظة ينبثق فيها وعي بضرورة التقدم وما يستلزمه ذلك من خروج عن النظام المألوف وهدم للعناصر الناظمة للنسق الحالي الذي يكون قد استنفذ مقومات استمراره. فالأزمة ليست غير وضع يخلق شروطا جديدة للفعل الذي يكون مبتكرا ومستجدا بما في ذلك الفعل السياسي³⁴. ذلك ما يؤكد الأصل الإيثيمولوجي لمفهوم الأزمة Crisis الذي يمتد في الجذر اللاتيني Krisis الدال على "القرار"³⁵ La Décision؛ بمعنى، أنه يشير إلى اللحظة المفصلية في الانتقال من وضع إلى آخر عبر تدخل الإرادة البشرية التي تحسم اختيارها صوب وجهة دون أخرى.

ونظر للطبيعة المائعة لوضعيات الأزمة فإن فعل فرد أو قلة قد يكون كافيا في بعض الحالات الاستثنائية لإحداث تأثير - قد يقل أو يكبر - في مجرى الأحداث والتطورات بطريقة غير متوقعة³⁶.

كما نقف على وجود نوع من القرابة الإيثيمولوجية بين مفهومي الأزمة Crisis والنقد Critique، يزيد من إبرازها استعمال كلمة Critical لنعت الفعل بأنه نقدي وفي نفس الوقت لنعت وضعية ما بأنها حرجة وأزموية³⁷، حيث يدلان على كون الخطاب النقدي يختزن قرارا وتصميما على الفعل والانتقال من وضع إلى آخر من بوابة الأزمة والإحساس بوجودها. ذلك أن النقد يعبر عن موقف يعكس تباعدا يقيمه الفرد مع الوقائع والأشياء يسمح له بالانفلات من تأثير النظام الذي يحكمها. ويعتبر هذا التباعد شرطا لوعي إمكانية التغيير وما يستلزمه ذلك من مرور عبر حلقة إدراك ضرورة اتخاذ القرار، بمعنى؛ التموقع إزاء الأحداث واتخاذ موقف عملي منها. والمقصود بالموقف العملي هو إدراك أن الخطاب الذي نتججه بصدد الوضعية له تداعيات عملية وليس بالضرورة أنه يدل على انخراط الفرد بشكل مباشر في تغيير الواقع.

ذلك ما حدى بـ "ميشيل فوكو" إلى تعريف النقد بداية من خلال خاصيته الأساسية بكونه فن عدم الخضوع للحكم L'art De N'être Pas Tellement Gouverner³⁸. والحكم يمكن فهمه بمعنى أوسع كنظام للأشياء والطبيعة عموما أو كنظام إنساني يعكس شكلا معيناً للإجتماع البشري. فرفض الخضوع لنظام حاضر، يبرز انبثاق وعي بعدم استمرار تمتعه بالمشروعية بحكم ظهور تصدعات في بنيانه وبروز علامات عدم النظام فيه، وهو ما يراه الفرد مؤشرا على بداية أفوله وأوان تغييره وانتقاله، مثلما حدث ذلك في سياق أعم فجر المرحلة الحديثة

³³ - Morin Edgar. Pour une crisologie. In: **Communications**, 25, 1976. La notion de crise. pp. 149-163;doi: <https://doi.org/10.3406/comm.1976.1388>,

https://www.persee.fr/doc/comm_0588-8018_1976_num_25_1_1388

³⁴ - Ibid, P: 160.

³⁵ - Ibid, P: 149.

³⁶ - Ibid, P: 160 et 161.

³⁷ - Jonathan Crowther, **Oxford Advanced Learner's Dictionary of current English**, Oxford University Press, Oxford- New York, 5th Ed, 1995, P: 277.

³⁸ - Henri-Paul Fruchaud et Daniele Lorenzini, **Michel FOUCAULT Qu'est-ce que la critique? suivi de La culture de soi**, Librairie Philosophique J. VRIN, France, 2015, P: 37.



الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجا -

حين ابتدع الفكر البشري مفهوم "الحق الطبيعي" الذي اعتبره "فوكو" محاولة للإجابة عن سؤال "كيف يمكن للإنسان ألا يكون محكوما؟"³⁹. مثلما أن الرفض السابق الذي يبرز ميولات عملية بحثة يمكنه أن يتبدى بدرجة ثانية في صورة رفض لما يعتبر حقيقيا في الخطاب الرسمي المعبر عنه من جهة السلطة⁴⁰، حيث تبرز مشكلة اليقين والثقة في العلاقة بالأخيرة⁴¹.

إن ظهور النزعة إلى التغيير أو الانتقال من وضع إلى آخر والتي بدت مرتبطة بمفهوم الأزمة بدرجة أولية، ثم بمفهوم النقد بدرجة ثانية، باعتباره شرط ذاتي لهذا الانتقال يعبر عن وعي للأزمة وضرورات وإمكانيات تجاوزها، تبدو هذه النزعة حاضرة كذلك في صلب الخطاب السياسي الساخر. فلطالما تم اعتبار السخرية بنتُ الإله الروماني "جانوس" Janus، إله البدايات⁴² وحارس أبواب السماء. هذا العمق الميثولوجي الدلالي للسخرية يدل بدوره على كونها تستقر في منطقة بينية تربط النهاية بالبداية، بمعنى؛ أنها تحيل على الصيرورة والانتقال.

(2) الأزمات وانبثاق الخطاب النقدي الساخر: إن الوقوف على العلاقات الدلالية التي كانت من وراء بناء مفهومي الأزمة والنقد، بل وحتى مفهومي السخرية والخطاب يبرز بشكل واضح ما تختزنه هذه المفاهيم من ميولات وإمكانيات للفعل قد تكون مضمرة أحيانا بينما قد يتم التصريح بها في لحظات أخرى خصوصا تلك التي نعرفها بوضعيات الأزمات. ذلك ما يجعلنا في تتبع مسار صعود وتراجع الخطاب السياسي الساخر نقف على لحظات بارزة في تاريخ المجتمعات شهد فيها هذا الخطاب تضخما ملحوظا وملفتا. وهي لحظات ترتبط اجتماعيا بمراحل إنتقالية سمتها البارزة غلبة واقع الأزمة على واقع النظام.

فإذا كنا لا ننكر أن الخطاب الساخر بطبيعته النقدية لا يغيب بصفة نهائية عن أشكال التخاطب الإنساني اليومي، شفوية كانت، مكتوبة أو سلوكية، فإن ذلك مرده بشكل أساسي إلى الطبيعة الوجودية للكائن الواعي القلق بشكل دائم إزاء وضعه والمتحسس لتناقضاته والراغب بشكل مستمر في تغييره. فهذا النوع من الخطاب الساخر وإن يكن أنه يتم بين ذوات إنسانية في الغالب فإن المخاطب لا يكون هدفا للخطاب بقدر ما أنه يعبر عن تمثيل رمزي للمخاطب الفعلي الذي قد يتحدد في الطبيعة أو في قوى ما وراء الطبيعة، وذلك أمر تستدعيه ضرورة استكمال شروط وعناصر التخاطب.

الفترة الإغريقية: ليس من قبيل المصادفة أن تتأسس السخرية خطابيا بعد فترة من ظهور الفكر الفلسفي الإغريقي لتصبح بذلك ركيزة أساسية للحوار والجدل، ذلك أنها شكلت آلية لا محيد عنها في الحوار السقراطي الذي يسعى لبناء الجديد على أنقاض القديم في مجال المعرفة أساسا. وأبعد من الوقوف على توظيف السخرية في القضايا الفلسفية السياسية ذات المنزع العملي الواضح الذي يعبر عن فكر ينمو في كنف مجتمع سمتته الغالبة الانتقال نحو نماذج للتدبير والحكم السياسيين غير المتفق عليهما ضمن ما كان يطلق عليه بالدولة المدينة، -أبعد

³⁹ - Ibid, P: 38.

⁴⁰ - Ibid, P: 38.

⁴¹ - Ibid, P: 39.

⁴² - Linda Hutcheon, IRONY'S EDGE: The theory and politics of irony, Taylor & Francis e-Library, 2005, P: 9.



من ذلك- فإن الوقوف على العلاقة العضوية التي أقامها الفكر السقراطي بين المعرفة والفضيلة (أي الأخلاق)، وما لهذه الأخيرة من دور في توجيه سلوك الفرد، يبرز كذلك البعد العملي الذي كان يضمه الخطاب السقراطي الساخر في تناوله للقضايا الأخلاقية.

وبنفس القدر الذي كانت فيه السخرية تعبر عن عدم وثوق بالمعرفة الجاهزة والدوغمائية التي سعت جاهدة إلى خلخلتها لإفساح المجال أمام ظهور وولادة الجديد للمعرفة، فإنها كانت تعبر عن الوجه المعرفي لعدم الوثوق بواقع اجتماعي وسياسي سمته الغالبة تتمثل في سيادة الاضطراب والصراع. وبخلاف ما يمكن أن يبعثه غياب الثقة لدى العامة من الناس من نكوص وإلتماس للإجابات الآتية والجاهزة فإنه لدى الفيلسوف يعتبر مؤشراً على حلول لحظة اتخاذ القرار المعرفي/العملي.

فوجه العلاقة بين الضرورة العملية والخطاب الساخر بطابعه المعرفي التي كانت من وراء نشأة مفهوم السخرية في السياق الإغريقي يبرز جلياً مع التطور السياسي الذي كانت تعرفه بلاد اليونان في الانتقال من نظام قبلي إلى نظام الدولة المدينة الذي يتيح -بل يفرض- تنافس وجهات النظر المختلفة، مع ما أنتجه ذلك من إحساس بانعدام الأمن الثقافي والمعرفي بسبب الانفتاح على ثقافات أخرى من جهة، ومن جهة ثانية، بسبب واقع سياسي متغير باستمرار.⁴³

الفترة الحديثة: لا تختلف المرحلة الحديثة من حيث الإنتاجات الأدبية والفلسفية عن المزاج العام الساخر الذي طبع الفترة الإغريقية المبكرة بحكم تشابههما من حيث الواقع الذي كان يحمل كل مؤشرات التغيير؛ بمعنى، أنه واقع في طور الانتقال. ففجر المرحلة الحديثة أو ما يعرف بعصر النهضة ليس غير تأهب لانتقال كبير انتهى بالثورات البرجوازية التي عرفتها الساحة الأوروبية. وفي ظل ما يتميز به واقع مشابه من توترات وصراعات وغياب للإحساس بالأمن الذي طال في هذه الفترة ميادين واسعة (ثقافية، سياسية، اجتماعية، دينية...) تبرز السخرية في مجالات متعددة لتكون حاملة للخطاب الذي يضمّر أو يفصح عن رغبته في تغيير الواقع.

فلا عجب من أن يشكل عمل "[ديسديريوس إراسموس](#)" (1467-1536) م "مديح الجنون" سنة 1509م، الذي يحمل منسوبا كبيرا من السخرية البادية إنطلاقاً من عنوانه، أحد الأعمال الفاتحة للمرحلة الحديثة إلى جانب أعمال أخرى، وهي أعمال في المجمل سعت بشكل معين إلى ترسيخ الحرية كقيمة وممارسة بدالاتها الحديثة. لذلك يمكن النظر إلى السخرية بمثابة حركة تحرر يعبر عنها الخطاب الساخر، كما لو أن الفكر انفلت من ضيق الكلمات التي تحدّه لينتهك بذلك قواعد التواصل التي تحكمه⁴⁴ بحثاً عن فعالية أكبر في التعامل مع وضعية معينة وفق أهداف محددة ولو بشكل غير دقيق.

⁴³ - Claire Colebrook, Irony, Routledge the Taylor Francis Group, New York, 2005, P: 2.

⁴⁴ - Géraud Violaine. L'ironie au siècle des Lumières. In: L'Information Grammaticale, N. 83, 1999. Pp: 3-8. doi:10.3406/igram.1999.3570,

http://www.persee.fr/doc/igram_0222-9838_1999_num_83_1_3570



الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجا -

إن مندوب السخرية في هذه المرحلة سيأخذ مداه في التطور والتضخم مع الإشراف على لحظات الثورات والاقتراب منها كما عكسه الإنتاج الفلسفي والأدبي لعصر الأنوار، ليصبح القرن 18 بمثابة قرن السخرية التي وجدت تعبيراتها في أشكال مختلفة على يد رواد هذه المرحلة من قبيل: مونتيسكيو، فولتير، هاملتون... وغيرهم⁴⁵. الفترة المعاصرة: إن واقع الأزمة بما تعنيه موضوعيا من لحظة تؤشر للانتقال والتغير، وذاتيا بما تعنيه من انبثاق للشك إزاء الوقائع المألوفة وإحساس بغياب اليقين والأمن، أصبحت -أي الأزمة- مفهوما يتردد بشكل كبير في الحقبة المعاصرة، بل أنها أصبحت بمثابة لازمة Refrain تصاحب كل الموضوعات والقضايا سواء تعلق الأمر بالصحة، المجتمع، النظام السياسي، التعليم، أو حتى بالعلوم والآداب، لنكون أمام أزمة صحية، أزمة اجتماعية، أزمة سياسية، وهكذا. فأصبح مفهوم الأزمة يدل في هذه المرحلة على "غياب القدرة على اتخاذ القرار"، غياب الوضوح واليقين⁴⁶، والتراجع، وهي كلها كانت تعبر في الدلالة الأصيلة للمفهوم عن البعد الذاتي فقط للأزمة المتمثل في الانطباعات الذاتية المرتبكة التي تضع الفرد أمام ضرورة اتخاذ القرار من جهة، ومن جهة ثانية، أمام صعوبته الناتجة عن عدم وضوح الرؤية التي تتولد لدى الفرد في ظل وضعية واقعية تتسم بالحركة والتعقيد والخروج عن النظام المألوف.

فمعنى القرار الذي يحمله مفهوم الأزمة يعكس حضورا ذاتيا يكون في تفاعل مع وقائع موضوعية. ذلك أن الأزمة تحيل على بعدين أساسيين لزمان لهما بل والتعامل معها، بعد سيميائي وآخر مادي⁴⁷، الأول ذاتي بينما الثاني واقعي وموضوعي -مع استحضار اختلاف هذه الأزمات الواقعية عن الأزمات المعرفية والإبستمولوجية-، وليس التحول في دلالة مفهوم "الأزمة" غير تعبير عن خلط بين البعدين وعدم تمييز بينهما. لكن قد يبدو هذا الانزياح الدلالي مفهوما إذا ما تم استحضار تراكم تجارب الإخفاق في الاختيار الصائب في ظل واقع سائر بشكل واضح نحو مزيد من التعقيد والتشابك، لكن في نفس الوقت، فالإزاحة الدلالية لا تخلو من سلبية واضحة من حيث أنها حولت الانتباه في تناول مفهوم الأزمة من كونها فرصة وعلامة على بلوغ الوضع حدا يستلزم تدخلا وقرارا بشريين لكي يفتح إمكانية الانتقال إلى وضع آخر يُفترض فيه أن يكون أرق وأفضل إلى التركيز على خاصية إلتباس الرؤية التي يتم في ظلها اتخاذ القرار، وهو ما جعلها تنماهي مفهوما مع الكارثة، الأفة وغيرها من المفاهيم ذات الحمولات الدلالية السلبية.

(3) الوباء أزمة من نوع خاص: إن الخطاب الساخر هو خطاب أزمة، كانت وجودية تعكسها الأسئلة الكبرى المتعلقة بالوجود والغايات النهائية والتي يحفزها القلق الوجودي المميز للوجود الإنساني أم ارتبطت بوضعية حياتية واجتماعية خاصة أو عامة. ويعكس الخطاب السياسي الساخر بشكل أساسي الكيفية التي يتم من خلالها تمثل الواقع الاجتماعي نقديا. إلا أن الخطاب الساخر يكتسي في وضعية الأزمات الصحية المرتبطة أساسا بانتشار

⁴⁵ -Ibid, P: 3

⁴⁶ -Morin Edgar. Pour une crisologie. In: *Communications*, 25, 1976. La notion de crise, P : 149.

⁴⁷ - Antoon De Rycker and Zuraidah Mohd Don, *Discourse and Crisis Critical perspectives*, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam /Philadelphia, 2013, P: 5.



الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجا -

الأوبئة طابعا خاصا. ففي مثل هذه الوضعيات الوبائية يبرز بشكل واضح تمفصل البعدين الوجودي / النفسي، والاجتماعي/ السياسي في الخطاب، ذلك أن وعي أزمة الوباء يختلف عن الأزمات الأخرى (السياسية، الاقتصادية...) بل حتى عن بعض الأزمات الصحية الأخرى التي قد تبدو أسبابها واضحة ومعروفة. لذلك يشكل زمن الأوبئة وضعية خاصة تفصح عن تمفصل ثان يكون بين الخطاب الأنطولوجي/الوجودي الساخر والخطاب السياسي الساخر في حدودٍ متفاوتة حسب مجموعة من السياقات سنأتي على ذكرها.

فأزمة الوباء تتيح إمكانية أكبر لحضور البعد الأنطولوجي واكتساحه للبعد الاجتماعي المتعلق بالإنسان، ذلك أن الأزمة ليست واقعة مادية خالصة، والأسباب غير المرئية وغير المحسوسة للأزمة في الغالب ما تبعث على الاعتقاد بغيبية المصدر وتعاليه عن الوجود الإنساني وربطه بمحددات ميتافيزيقية. فالمصدر المتعالي بهذا المعنى؛ إما أنه يتمثل في إرادة إلهية، أو يتم ربطه بنظام الأشياء الذي تعبر عنه حركة الزمن، حيث تم ربط الوقائع في أزمة "كوفيد 19" بتاريخ 2020 وما تم تحميله لهذا العدد من دلالة سحرية على النهاية، بل إن بعض التدوينات سعت إلى إبراز انتظامٍ في فترات ظهور الأوبئة وفق جدول زمني وتاريخي مضبوط تحدده سنوات (1720، 1820، 1920، 2020).

فما هي الشروط التي يُغلب فيها الخطاب الساخر وظيفته السوسيو-سياسية على وظيفته السيكو-أنطولوجية بما تحمله الأولى من تركيز على التدخل الإنساني والثانية من إلتماس للعزاء والتوازن النفسي؟ يسير تضخم البعد الوجودي الأنطولوجي للأزمة بتوافق مع تراجع القدرات والإمكانات المعرفية للناس بصدد المشكل/الأزمة، وهو أمر قد يتولد عن المستوى الضعيف للتقدم المعرفي للمجتمع بأكمله أو بسبب صعوبة الولوج إلى المعرفة والمعلومة وضعف التواصل، بل قد يكون أحيانا بسببهما معا. كما أن هذا التضخم قد يتوافق كذلك مع تراجع فرص الرعاية الصحية المتاحة أو مع ضعف الأداء في التدخل عموما لمحاصرة الوباء، مما يجعل من إضفاء المعنى الوجودي على الأزمة الوبائية تعبيرا عن آلية نفسية دفاعية إزاء وضع يبدو متجاوزا لمقدرة الإنسان على التدخل فيه، وهي آلية نفسية يشترط ظهورها غياب معرفة كافية بالأسباب. وبشكل عكسي، كلما ارتفعت إمكانية التواصل وتوفير المعلومة بصدد الأسباب المادية للأزمة الوبائية، وكلما زادت فرص الاستفادة من الرعاية الصحية وجودة التدخلات لمحاصرة الوباء كلما تم الانتباه أكثر إلى البعد الاجتماعي للأزمة واعتبار الأخير عاملا مهما في تجاوزها.

فالبعدين المعرفي والعملي يعتبران محددين أساسيين في نقل الخطاب السياسي الساخر في وضعية الأزمات من مستواه السيكو-أنطولوجي إلى المستوى السوسيو-سياسي. لكن هذين البعدين لا يعتبران العاملين الوحيديين المؤثران في هذا الانتقال لأن المجتمع المعولم المفتوح الراهن يسمح بتدفق كثيف للمعلومات، خصوصا بصدد أزمة عالمية متشابهة بين بلدان كثيرة، يتيح إمكانية المقارنة بين وضعيات وتجارب مختلفة تتفاوت في التعامل مع الأزمة بحيث يبدو في بعضها التدخل البشري عاملا حاسما وفعالا في التعامل معها. وهو الأمر الذي يعوض بقدر معين عدم كفاية المعطيات المعرفية والعملية ويسمح في نفس الوقت بإدراك قصور العامل البشري في مواجهة الوباء لتتحول سهام النقد من تناول الأنطولوجي للأزمة إلى تناولها في بعدها الاجتماعي والسياسي كأزمة قرار وتدبير بشريين، أو على الأقل كأزمة تتفاقم بفعل عدم كفاية تدخل العامل البشري بشكل فعال ومناسب.



ثالثاً: أزمة "كوفيد 19" والتدوينات السياسية الساخرة

على الفضاء الرقمي

لم يكن للخطاب السياسي الساخر في ظل أزمة انتشار وباء كوفيد 19 أن يخرج عن سياقه التاريخي الموسوم أساساً بالتطور الكبير لوسائل التواصل الرقمي، حيث أنه سيجعل من الأخيرة منبره الخاص والمميز. لكن تغييراً يطال الوسيلة الحاملة للخطاب من شأنه أن يفرض كذلك تغييراً معيناً في شكل الخطاب حفاظاً على طبيعته التي تمثلها النزعة العملية.

1) آلية الخطاب السياسي الساخر بين الشفهي والرقمي المكتوب: حيث أن الخطاب السياسي الساخر يعمل بآلية التصريح والإضمار المشار إليهما، والتي تقتضي التعبير عن المواقف بكيفية غير صريحة من خلال اعتماد تصريح يخالف القصد، فإن إحداثه للتأثير المرغوب يقتضي الإمساك بدلالته المضمرة عبر آلية التأويل، وهو الأمر الذي يستلزم وجود نقطة ارتكاز تسمح بتأويله في الاتجاه المطلوب. يبدو هذا الأمر ممكناً في الخطاب الساخر الشفوي بالاعتماد على الحركات، الإيماءات، النبرات الصوتية، الإشارات، وغيرها من المؤشرات المرئية المصاحبة للخطاب⁴⁸، بل بالاعتماد كذلك بشكل أوسع على معرفة سابقة للعلاقة بين طرفي الوضعية التي يستدعيها الخطاب السياسي الساخر. وهي ما سنسميه سياقاً Context، بما لهذا الأخير من أهمية في إحداث الخطاب السياسي الساخر لأثاره المرجوة.

لكن عندما نكون بصدد خطاب سياسي ساخر في صيغة مكتوبة فإن مجموع المؤشرات المرجعية السابقة الدالة على السياق تكون غائبة مما قد يؤثر على فعالية هذا الخطاب. ذلك أن هذا الخطاب عندما يتم التعبير عنه في أشكال مكتوبة يكون ملزماً باستثمار عناصر جديدة لبناء سياق الفهم والتأثير، بسبب الاختلافات في الخصائص الموجودة بين الخطاب الشفهي والخطاب الكتابي، والتي يشكل بعضها إكراهات لتميرير القصد بطريقة ساخرة، ونذكر في هذا الصدد خاصيتين/ إكراهين:

1- الخطاب الشفهي أكثر تلقائية و أقل تنظيماً من الخطاب المكتوب، بمعنى؛ أن الأخير يكون مُبْنِيّاً Structured وخاضعاً أكثر لضوابط لغوية⁴⁹، وهو ما ينعكس في صيغة ضيق للمساحات اللغوية الكافية لمجاراتة الغنى الدلالي للخطاب الساخر الذي يختلف بطبيعته عن الخطاب الحرفي literal Discourse من حيث أنه يزاوج بين المعنى الظاهر والمعنى المضمّر.

2- الخطاب المكتوب يصحح أكثر مما يضمّر لكونه يميل إلى الكثافة اللغوية⁵⁰، مما يجعله في تعارض مع خاصية الإضمار التي تميز الخطاب الساخر وتعتبر شرطاً لقيامه.

فما هي الآلية والعناصر التي يوظفها الخطاب السياسي الساخر في صيغته المكتوبة لإعادة ترتيب الدلالات والمقاصد، وهو الترتيب الذي يعتبر ضرورياً لإحداث تأثير عملي في الواقع؟

⁴⁸ - Ernest Behler, *Irony and the Discourse of Modernity*, the University of Washington Press, USA, 1990, P: 76.

⁴⁹ - Brian Paltridge, *discours analysis an introduction*, continuum, London, 2006, P: 14.

⁵⁰ - Ibid, P: 14 and 16.



الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجا -

في الوقت الذي تغيب فيه مجموعة من المؤشرات الضرورية المشار إليها سابقا لإنجاح عملية نقل المعنى المضمّر سواء نحو الهدف الذي يروم الخطاب إحداث تأثير على قراراته وبالتالي على الواقع أو نحو جماعة الخطاب المفترضة والتي تكون موضوع تعبئة غير مباشرة لإعادة إنتاج الخطاب الساخر بنفس المضمون لكن في قوالب ساخرة أخرى حتى لا يفقد عنصر المتعة فيه، فإن غياب هذه المؤشرات ذات الطبيعة المرئية (إيماءات، نبرات صوتية...) كما يكون عليه الأمر في السخرية اللفظية يطرح صعوبة أعمال آلية التصريح والإضمار التي تعتبر أساسية في الخطاب الساخر مما يهدد بإفقاد هذا الأخير طابعه الساخر وبالتالي تأثيره الخاص والمميز. فقد يكون تمثل الرد على وضعية معينة والتفاعل معها مكتسبا بداية لطبيعة ساخرة لكن الانتقال للتعبير عنه كتابة قد يفقده طابعه الساخر أو قد يحافظ عليه في حدوده الدنيا بسبب الصرامة اللغوية التي تميز الخطاب المكتوب مقارنة بالشفهي، الأمر الذي يفسر أن الكتابة الساخرة في الغالب ما تروم استعمال اللغة/ اللهجة اليومية تجنباً لضوابط اللغة، أو على الأقل استعمال بعض المقاطع من اللغة اليومية ضمن نص الخطاب المكتوب كما تشير إلى ذلك بعض التدوينات الفيسبوكية من قبيل التدوينة التالية: "مع الشفافية والدقة فالتعبير والتواصل ديال الحكومة.. أرا برّع البهجة بالنكت ههه"، وهي تدوينة تصرّح بشكل ضمني بغياب الشفافية في الخطاب الرسمي، وغياب الدقة في التعبير والفعالية في التواصل مثلما يُفترض أن يكون عليه الحال في واقع الأزمة. لكن، لكي تبرز التدوينة طابعها الساخر، ولكي لا ينساق المتلقي وراء ما قد توحي به التدوينة في شقها الأول من جدية، فإن الجزء الثاني منها تمت صياغته باللغة اليومية/ العامية (الدارجة) كتعبير عن انتقال فجائي من الدلالة الصريحة إلى أخرى مُضمرة تشكل جوهر التدوينة وتعبّر عن القصد والغاية النقدية من وراء كتابتها.

إن غياب المؤشرات السابقة المشار إليها في العلاقة بالخطاب الشفهي يدفع كذلك الخطاب السياسي الساخر المكتوب إلى إلتماس حضور الصورة بغناها الدلالي، حيث تقوم بتشكيل المجال المرئي الذي يسمح بتوجيه مضمون النص المكتوب وإكسابه خاصيته الساخرة؛ بمعنى طبيعته المزدوجة التي تجمع بين التصريح والإضمار. فالمزاوجة بين الصورة والنص الخطابي المكتوب يعطي مساحات دلالية أكبر تتيح عملية التأويل التي تعتبر ضرورية لإيصال رسالة الخطاب الساخر.

بل إن جزء من هذه العناصر البصرية المطلوبة أصبحت توفره الشبكات الاجتماعية الرقمية من خلال تقنيات تسمح بدفع النص المكتوب إلى مستوى المرونة المطلوبة في ملامسة الحالات الشعورية والعميقة Emoticons، وهي إمكانيات أصبحت تستثمر بشكل ملحوظ في التدوينات الساخرة.

2) التدوينات الساخرة كخطاب سياسي منظم وقرارات تدير أزمة "كوفيد 19":

في الوقت الذي تعتمد فيه المبادرات السياسية المنظمة التي يتم إطلاقها على منصات الشبكات الاجتماعية من خلال حملات "هاشتاغ" مباشرة أو عرائض أو غيرها من الوسائل الرقمية لغة سياسية واضحة وخطابا سياسيا مباشرا وصريحا، فإن الخطاب السياسي لا يأخذ طابعا ساخرا في الغالب إلا حيث تغيب إمكانية التعبئة العقلانية والصريحة إزاء وضعيات معينة تجد في ظلها جماعة الخطاب نفسها مفككة وفي موقع دفاعي للإبقاء على وضع معين أو استرداده.



الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجا -

إن القول بكون الخطاب السياسي الساخر يُعبّر عن غياب تنظيم لصفوف جماعة الخطاب لا يُؤخذ على إطلاقيته، ذلك أن الأمر لا يبدو كذلك إلا من حيث تعبيراته الظاهرة. فنزعة التحلل من المسؤولية المباشرة في الخطاب السياسي الساخر كما تم الحديث عنها سابقا لا تسمح بكشف تعبيراته المختلفة على أنها تعبيرات منظمة، ذلك ما يجعل من الخطاب السياسي الساخر يبدو كتدوينات متناثرة وغير مسؤولة. لكن طابعه المنظم بشكل خاص يبدو من خلال الأثر الذي تحدثه التدوينات الساخرة على سيرورة اتخاذ القرار، مما يبرز طابعها المؤثر كخطاب سياسي، رغم أن طابع السخرية الذي يلفه يجعل من تأثيره كخطاب تأثيرا غير مباشر بنفس الشاكلة التي يعمل من خلالها على التعبير عن المطالب أو الحاجيات؛ بمعنى أنه لا يتم الاعتراف به كخطاب رغم وجود استجابة غير مباشرة له، أحيانا من خلال تعديل قرارات أو إلغائها، وأحيانا أخرى بالاحتفاظ بها مع تعطيل كلي أو جزئي لسريانها عمليا.

إن القائمين على تدبير الشؤون اليومية للناس في زمن "كوفيد 19" ليسوا مجرد مشرفين على التدبير، بل هم "قادة"، أو على الأقل، هو الدور الذي يُنتظر منهم القيام به إبان هذه الأزمة. والدور هنا يعتبر ذا طبيعة تقريرية خالصة لكونه يرتبط بوضعية أزمنة بما يميزها من سرعة في تدفق مستمر للأحداث وما يجره من تغيرات متلاحقة. إن وعي ارتباط مجرى الأحداث ومساراتها، في ظل الأزمات الصحية كأزمة "كوفيد 19"، بالقرارات المتخذة ينقل الخطاب السياسي الساخر من مستوى استهداف المهمات ذات الطبيعة التقنية إلى مصادرها من حيث أنها مجرد تنفيذ لقرارات معينة. ذلك ما يجعل من المسؤولين السياسيين في واجهة النقد الساخر الموجه للتدابير والإجراءات الاستثنائية في فترة الأزمات سواء تلك المرتبطة بالصحة أو تلك التي تتعلق بقطاعات أخرى من قبيل (التعليم، الشغل، النقل، وغيرها...).

تتميز فترة الأزمات بظهور الحاجة الماسة لدى العامة من الناس إلى قائد يجيب على الاحتياجات الملحة والمقلقة ويكون قادرا من خلال ذلك على إظهار إمكانية تجاوز هذه الأزمات من خلال قرارات صائبة تستمد شرعيتها من مدى تحكمها في الأزمة. وبنفس القدر الذي تكون فيه الحاجات في مستوياتها المتقدمة من الملحاحية بنفس القدر الذي يحتاج فيه الناس إلى مؤشرات ملموسة تدل على التقدم في معالجة وضعية الأزمة، وهي مؤشرات يُنتظر تقديمها من طرف قادة الأزمة، بمعنى؛ من يمتلك صلاحية التقرير في الإجراءات المتخذة. ذلك ما يفسر أن الخطابات الساخرة تتوجه بشكل أساسي صوب القرارات المتخذة من طرف القادة أو من يفترض فيهم لعب هذا الدور بحكم مسؤولياتهم السياسية التقريرية. ففي ظل انتشار وباء "كوفيد 19" شهد العالم مجموعة من الخطابات الساخرة التي كانت موجهة أساسا لإبراز إرتجالية ولامسؤولية القرارات التي يتخذها بعض القادة السياسيين، من قبيل الحديث عن إلزامية ارتداء واقبات الوجه مع ما يترتب من جزاءات عن عدم التقيد بذلك في ظل انعدامها أو ندرتها في السوق، حيث ستحتاج وسائل التواصل الاجتماعي تدوينات ساخرة تفيد بأن "الكمامات موجودة بوفرة في التلفاز" أو تلك التي يصور الأفراد فيها أنفسهم بواقبات مصنوعة من خرق بالية أو غيرها، الأمر الذي سينعكس على شكل تراجع عن تطبيق الجزاءات رغم استمرار التصريح بإلزامية حمل واقبات الوجه.

الخطاب السياسي الساخر في زمن الأزمات - أزمة وباء كوفيد 19 نموذجاً -



يجد الزعماء السياسيون، صعوبة كبيرة في اتخاذ القرارات السياسية عندما يواجهون أزمات معينة. بل حتى بوجود لجنة من الخبراء تلعب دوراً استشارياً فإن بناء القرار قد يكون على قدر كبير من الصعوبة بسبب إمكانية اختلافهم مع غياب معطيات دقيقة لحسم الاختلاف أو ترجيحه لاتجاه على حساب آخر⁵¹. وعموماً تظل مختلف القرارات المتخذة في ظل الأزمات محط فحص وتدقيق بدوافع سياسية بغض النظر عن اتخاذها⁵²، وهو الأمر الذي يكتسي طابعاً نقدياً ساخراً في أحيان كثيرة. وكما يتم انتقاد القرارات في مضمونها فإن توقيتها كذلك يكون محط نقد وسخرية، إذ غالباً ما يتم اعتبارها سابقة لأوانها أو متأخرة⁵³.

وبنفس القدر الذي يبدي فيه عامة الناس في أزمات انتشار الأوبئة اهتماماً كبيراً بالقرارات وحساسية كبيرة تجاهها فإن نفس العلاقة تكون لديهم إزاء الوضعية التواصلية التي يبديها القادة، لأن جزءاً مهماً من مؤشرات التقدم أو التراجع في معالجة الأزمات والتي تعتبر ضرورية للأفراد لتخفيف القلق المترتب عن ضبابية الرؤية في ظل الأزمة يتم استخلاصها عبر التواصل، لذلك يرتفع الرهان على هذا الأخير في مثل هذه الوضعيات لدرجة أنه أصبح يمكن الحديث عن نوع خاص من التواصل يتعلق بالتواصل في ظل الأزمات. ويكون التواصل وفق معايير خاصة في هذه الوضعيات شرطاً لتعبئة الناس وانخراطهم في رعاية التدابير المقررة، حيث أنهم يطالبون بقدر كبير من الوضوح والشفافية في التواصل، وهو ما قد ينعكس سلباً على علاقة القادة بهم في حالة ما إذا حاول هؤلاء التقليل من خطورة الوضع في ظل تطورات تشهد بخطورته أو محاولة إخفاء الأزمة⁵⁴، وهو ما قد يفجر حملات نقد ساخرة واسعة النطاق مثلما كان عليه الحال في تصريحات أحد المسؤولين التي تفيد بعدم ضرورة ارتداء واقيات الوجه لأنها لا تفيد في منع انتقال العدوى في الوقت الذي كان فيه الجميع يتابع السباق العالمي المحموم لاحتكار امتلاكها وصل إلى حد السطو على سفن كانت محملة بها.

⁵¹ - Laura H. Kahn, WHO'S IN CHARGE? Leadership during Epidemics, Bioterror Attacks, and other Public Health Crises, ABC-CLIO, LLC, California, 2009, P: 97.

⁵² - Ibid, P: 98.

⁵³ - Ibid, P: 98.

⁵⁴ - Ibid, P: 98.



لائحة المراجع بالعربية

- 1- ماريان يورغنسن ولويز فيليبس، تحليل الخطاب؛ النظرية والمنهج، ترجمة د.شوقي بوعناني، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2019.
- 2- د.عبد السلام حيمر، في سوسيولوجيا الخطاب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الدار البيضاء، 2008.
- 3- ألسندوردورانتى، الأنثروبولوجيا الألسنية، ترجمة فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013.
- 4- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.
- 5- كريستيان تيليغا، علم النفس السياسي-رؤية نقدية، ترجمة: أسامة الغزولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 436، ماي، 2016.
- 6- توين فان دايك، الخطاب والسلطة، ترجمة غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014

BIBLIOGRAPHIE

- 1- **Ernest Behler**, Irony and the Discourse of Modernity, the University of Washington Press, USA, 1990.
- 2- **Jonathan Lear**, A Case for Irony, harvard university press Cambridge, Massachusetts, and London, England, 2011.
- 3- **Paul Chilton & Christina Schäffner, John Benjamins**, Politics as text and talk, Analytic approaches to political discourse, Publishing Company Amsterdam /Philadelphia, 2002.
- 4- **Claire Colebrook**, Irony, Routledge the Taylor Francis Group, New York, 2005.
- 5- **Brian Paltridge**, discours analysis an introduction, continuum, London, 2006.
- 6- **Sara Mills**, Discourse, Taylor & Francis e-Library, 2001.
- 7- **Anthony Giddens & Philip W. Sutton**, Essential Concepts in Sociology, Polity, 2014.
- 8- **Anita Fetzer**, The Pragmatics of Political Discourse- Explorations across cultures, John Benjamins Publishing Company Amsterdam/Philadelphia, 2013
- 9- **Joana Garmendia**, Irony, Cambridge University Press, UK, 2018
- 10- **Jean Brun, Socrate**, collection « que sais-je ?», presses universitaires de la France, France, 1963.
- 11- **Herbert L. Colston and Raymond W. Gibbs, Jr**, A Brief History of Irony, IRONY IN LANGUAGE AND THOUGHT, Lawrence Erlbaum Associates Taylor & Francis Group, New York, 2007.
- 12- **Sachi Kumon-Nakamura, Sam Glucksberg and Mary Brown**, How About Another Piece of Pie: The Allusional Pretense Theory of Discourse Irony, Ed, Herbert L. Colston and Raymond W. Gibbs, Jr, A Brief History of Irony, IRONY IN LANGUAGE AND THOUGHT, Lawrence Erlbaum Associates Taylor & Francis Group, New York, 2007.



- 13- **Hans Steinmüller and Susanne Brandtstädter**, Irony, Cynicism and the Chinese State, Routledge, New York, 2016
- 14- **Shelly Dews, Joan Kaplan, & Ellen Winner**, Why Not Say It Directly? The Social Functions of Irony, ED Raymond W. Gibbs, Jr. and Herbert L. Colston, IRONY IN LANGUAGE AND THOUGHT, Lawrence Erlbaum Associates Taylor & Francis Group, New York, 2007.
- 15- **Paul McDonald**, The Philosophy of Humour, Humanities-Ebooks, 2012.
- 16- **Jonathan Crowther**, Oxford Advanced Learner's Dictionary of current English, Oxford University Press, Oxford- New York, 5th Ed, 1995.
- 17- **Henri-Paul Fruchaud et Daniele Lorenzini, Michel FOUCAULT** Qu'est-ce que la critique? suivi de La culture de soi, Librairie Philosophique J. VRIN, France, 2015.
- 18- **Linda Hutcheon**, Irony's Edge: The theory and politics of irony, Taylor & Francis e-Library, 2005.
- 19- **Antoon De Rycker and Zuraidah Mohd Don**, Discourse and Crisis Critical perspectives, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam / Philadelphia, 2013.
- 20- **Laura H. Kahn**, Who's In Charge? Leadership during Epidemics, Bioterror Attacks, and other Public Health Crises, ABC-CLIO, LLC, California, 2009

الويبديا: Wipidia

- 1- **Alessandra Del Ré, Fabrice Hirsch et Christelle Dodane**, L'ironie dans le discours, <http://journals.openedition.org/praxematique/4796>
- 2 - **Morin Edgar**. Pour une crisologie. In: Communications, 25, 1976. La notion de crise. pp. 149-163;doi: <https://doi.org/10.3406/comm.1976.1388>
https://www.persee.fr/doc/comm_0588-8018_1976_num_25_1_1388
- 3- **Géraud Violaine**. L'ironie au siècle des Lumières. In: L'Information Grammaticale, N. 83, 1999. pp. 3-8.doi:10.3406/igram.1999.3570
http://www.persee.fr/doc/igram_0222-9838_1999_num_83_1_3570